مسألة السيادة على جزر ليوشيو ١٨٧١ –١٨٨١

د. نادية كاظم محمد العبودي
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

المقدمة

ترك الامتداد الحضاري والفكري الصيني ، في العهد الامبراطوري ، أثرا كبيرا في عموم الشرق الاقصى وجنوب شرقي آسيا . وكان له دوره في خضوع اغلب دول هذه المنطقة لسيادة الإمبراطورية الصينية ، إعترافاً منها بانها دولة عظمى أسمى منها حضارياً وفكرياً . وظهر هذا الأمر جلياً في تبعية مملكة ليوشيو [١] لإمبراطورية الوسط (الصين) . وكان احد مظاهر ذلك هو دفعها جزية سنوية للصين ولكن من دون ان تتدخل الاخيرة في شؤونها الداخلية . وقد حافظت مملكة ليوشيو على ذلك الوضع ردحاً طويلاً من الزمن . ولكن بعد أنفتاح منطقة الشرق الاقصى ، ولا سيما الصين واليابان، على العالم الخارجي في أواسط القرن التاسع عشر ، وتعرضها للمؤثرات الدولية، وتباين استجابة كل منهما لتلك المؤثرات، وهزيمة الصين المتكررة ، ونهضة اليابان من كبوتها ، بعد ذلك كله هل بقيت مملكة ليوشيو محافظة على تبعيتها للإمبراطورية الصينية ؟ وكيف أثرت نهضة اليابان الحديثة على ذلك ؟ وهل بقيت الحكومة الصينية متمسكة بالسيادة عليها ؟ ... إن الاجابة على هذه التساءولات تطلبت منا الرجوع الى التقارير والمذكرات التي رفعها المسؤولون الصينيون ، وبعض دبلوماسيي مملكة ليوشيو ، لإمبراطور الصين والتي دارت بشأن موضوع السيادة الصينية على مملكة ليوشيو ، ومطالبة اليابان بها ، والتي جمع جزأ منها في الكتاب الذي حرره الباحث دون جي لي والمعنون بـ

China in Transition :1517 –1911, New York ,1969.

وقد مثلت هذه الوثائق المعين الذي استمد منه البحث فحواه . وقد يبدو للقارئ والباحث عدم انسجام واضح بين اهمية هذا الموضوع وعدد هذه الصفحات التي ناقشته ولعل ما يسوغ ذلك هو ندرة الوثائق والمصادر التي تطرقت اليه . فأذا ما استثنينا الوثائق التي رفدت البحث بمعلومات قيمة فأن بقية المصادر المستخدمة في البحث رغم اهميتها ورصانتها لم تتوسع في مناقشة هذا الموضوع . وقد يرجعنا هذا الامر بحد ذاته الى التساؤل عن مدى الاهمية التي اعطتها حكومة المانشو لمناقشة هذا الموضوع في حينه .

واتخذ عام ١٨٧١بداية لموضوع البحث وهو العام الذي شهد وقوع حادث مقتل طاقم سفينة اوكيناو في سواحل فرموزه الذي اتخذته الحكومة اليابانية ذريعة للتدخل في شؤون ليوشيو . كما إن عام ١٨٨١ شهد إعلان الحكومة الصينية تنازلها بشكل رسمي عن جزر ليوشيو .

ويواجه الباحث في تأريخ الصين الحديث صعوبات عديدة تتركز على نحو رئيس في ندرة الوثائق فالمعروف دائما ان الحكومات الصينية تعزف عن نشر وثائقها ، إلا ما ندر . كما ان ورود مسميات الأشخاص والأماكن بصيغ عديدة ، يضيف صعوبات أخرى للباحث ولا سيما ان الفرد الصيني كان معتاداً على ان يتخذ لنفسه أكثر من أسم ، والى جانب ذلك ان الصينيين في العهد الإمبراطوري دأبوا على تدوين الأحداث على وفق سني حكم أباطرتهم ، الامر الذي تطلب مقارنتها وتحويلها الى التاريخ الميلادي.

مدخل للدراسة:

ليس بالإمكان تحديد طبيعة العلاقة التي ربطت بين الصين ومملكة ليوشيو ، لقرون خلت ، من دون الأخذ بالحسبان الامتداد الحضاري والفكري الصيني في الشرق الأقصى عموما. فالصين كانت المعلم الحضاري الأكبر لدول هذه المنطقة ، التي سلمت بسموها الفكري والحضاري طواعية ، وشكلت مؤسساتها ونظمها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها على وفق النمط الصيني[٢]. وفي ضوء ذلك اصبح الارتباط السياسي لدول هذه المنطقة ، فيما عدا اليابان ، قائماً ضمن حدود الإمبراطورية الصينية التي ضمت فضلا عن الصين الاصلية كوريا ومملكة فيتنام ونيبال ومنغوليا وجزر ليوشيو وجزر سولو[٣]. وقد مارست الحكومة الامبراطورية المركزية في بكين سلطة غير مباشرة عليها ، نظراً لسعة حدود إمبراطوريتها المترامية الأطراف وتخلف وسائل المواصلات ، وإستحالت إعداد وتمويل جيش قوي بأمكانه ان يضمن السيطرة المباشرة على أنحائها كافة . وعلى اساس ذلك فأنها اكتفت بممارسة السلطة الاسمية عليها ، شريطة ان تدفع لها جزية سنوية ، ليتجسد في ذلك اعترافها بتبعيتها الى الصين [٤]، وايمانها بنظرية إمبراطورية الوسط التي عدت الصين مركز العالم ، وانها أرقى الأمم وما الشعوب الاخرى سوى (همج متبربرين) الاجدر بهم الاعتراف بسيادة امبراطورية الصين عليهم [٥] . وقد حافظت مملكة ليوشيو بدورها على هذه العلاقة التبعية للصين منذ عام ١٣٧٢م ، حينما قام الإمبراطور الصيني

هونـغ وو ، احـد أبـاطرة أسـرة المينـج [٦] ، بتنصـيب احـد سـكان جـزر ليوشـيو ، حاكمـاً عليها،ومنحه لقب وانغ أي الملك. ومنذ ذلك الحين تولى ملوك ليوشيو الحكم في مملكتهم مـن دون تـدخل الصـين واليابـان فـي شـؤونها الداخليـة والخارجيـة مـع اعتـرافهم بالسـيادة الاسمية للصين وإرسالهم الجزية السنوية اليها حتى قيام اليابان بأعلان ضمها اليها رسميا عام ١٨٧٩ [٧].

اليابان والتوجه نحو ليوشيو:

شهدت اليابان عقب انفتاحها على العالم الخارجي [٨] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، تغيرات مهمة في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا سيما في عهد الإمبراطور موتسوهيتو (١٨٦٨ -١٩١٢) [٩] الذي سمي عهده بعهد الميجي أي عهد الاستنارة ، الذي تمكن فيه اليابانيون من إقامة دولتهم على أسس جديدة بالإفادة من العلوم والمعارف والتقنيات الغربية واقامة المشاريع الصناعية على غرار تلك التي أقيمت في اوربا والولايات المتحدة ، الا ان ذلك اصطدم بالحاجة الى المواد الأولية التي تفتقر اليها اليابان ، للاسـواق اللازمـة لتصـريف منتجاتهـا، وأدركـت اهميـة إحاطتهـا بحـزام أمنـي يقيهـا شـر العدوان الأجنبي ، كما تعرضت له جارتها الصين من حروب أجنبية عديدة، ولاسيما حربي الافيون، الاولـى (١٨٣٩-١٨٤٢)[١٠]، والثانيـة (١٨٥٦-١٨٦٠)[١١] فضـلاً عـن شـعورها بنمو قوتها ورغبتها في الدخول لميدان التوسع الاستعماري فحددت مناطق لتوسعها شملت ما يلي :

١- منطقـة داخليـة مـع جـزر كوريـل وسـخالين وكوريـا وجـزر ليوشـيو وفرمـوزه (تايون) .
٢- منطقة خارجية تشمل بحر الفلبين وجزر كارولين وشرقي الصين ومنشوريا وشرقي سيبيريا .
٣- منطقة لم تحدد بشكل واضح لكنها كانت تشمل جزر الهند الشرقية والهند الصينية والصين كلها [١٢].

وبذلك فإن جزر ليوشيو ، التي لم تكن قبل ذلك بعيدة عن أنظار اليابانيين بحكم سيطرة اقطاعية ساتسوما على الأجزاء الشمالية منها منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ولتواصل العلاقات التجارية بين البلدين لمدة زمنية طويلة ، كانت واقعة ضمن مخططات

الحكومة اليابانية للسيطرة الاستعمارية والتي استغلت حادثة مقتل طاقم سفينة اوكيناوا البالغ عددهم ٥٤ شخصاً من سكنة جزر ليوشيو الشمالية لدى تحطم سفينتهم في سواحل فرموزه ، في ٢١ كانون الأول عام ١٨٧١ ، فطالبت اليابان الحكومة الصينية بمعاقبة مرتكبي (الجريمة) وتعويض ذوي ضحاياها [١٣]، وممن الملفت للنظر ان بعض المصادر ترى ان إنكار المسؤولين الصينيين مسؤولية حكومتهم عن ذلك ، دفع الحكومة اليابانية في عام ١٨٧٤ لإرسال حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف جندي، احتلت الساحل الشمالي لجزيرة فرموزه [١٤] . لكن الملاحظ ان الفترة الزمنية بين حادثة سفينة اوكيناوا واحتلال الساحل الشمالي لجزيرة فرموزه هي ثلاث سنوات ، وهل من المعقول ان تنتظر اليابان ، وهي تسعى للحصول على المستعمرات ضمن خطة وضعت مسبقاً،لثلاث سنوات لترد على رفض الحكومة الصينية ، دون ان تستغل ضعف الصين وانشغالها بمعالجة أوضاعها الداخلية ومجابهة التحديات الأوربية ، وتنقض على مملكة ليوشيو لتضمها اليها ! الواقع ان اليابان وبشهادة احد دبلوماسي مملكة ليوشيو ، بدأت منذ عام ١٨٧١ باتخاذ الخطوات العملية لإخضاع مملكة ليوشيو اليها بقوله [١٥] " .. ومنذ بداية السنة العاشرة لتونغ تشياه[١٦]– أي عام ١٨٧١ – ، تغيرت وجهة نظر اليابان تماماً لقد غيرت بشكل غير مبرر اسم بلادنا من مملكة ليوشيو الى إقطاعية ليوشيو وخاطبت حاكمنا بـ" الامير الإقطاعي " بدلاً من " الملك " وارسلت لاحقاً موظفين إداريين ، مدعومين بجنود ، لتولي امر الحكومة " [١٧]، وفي ضوء ذلك فان احتلال الساحل الشمالي لجزيرة فرموزة الذي جاء بعد ثلاثة أعوام من حادثة سفينة اوكيناوا ، قد يشتمل على احتمالين ، الاحتمال الاول ، انه جاء ضمن الخطة اليابانية للتوسع الاستعماري في شرقي أسيا ، والاحتمال الثاني أنها استهدفت من ذلك الضغط على الصين لانتزاع اعترافها بسيادة اليابان على جزر ليولشيو كاملة .

وما يؤكد الاحتمال الثاني ان تيراشيما وزير خارجية اليابان ، قدم ادعاءات حكومته في مذكرة ارسلها للحكومة الصينية اشتملت على ما يأتي :-

١- ان اليابان تعتبر جزر ليوشيو جزءاً من جزر جنان اليابانية التابعة لاقطاعية ساتسوما وانها وقعت لفترة زمنية طويلة تحت النفوذ السياسي والثقافي

الياباني ودفعت الجزية لليابان في فترات عديدة ولا سيما فترة سوى – تانغ (٥٩٠-٩٠٦م) وفي فترة حكم تويوتومي هايد يوشي(١٥٨٢ –١٥٩٨) [١٨].

٢- اتبع سكان جزر ليوشيو طريقة اليابانيين في حياتهم الاجتماعية ، من حيث مراسيم الزفاف والجنائز ، واختيار الملابس ، وطريقة طبخ الطعام واسلوب تناولها متأثرين في ذلك بعشيرة اوغاشارا اليابانية .

٣- يتحدث سكان جزر ليوشيو اللغة اليابانية ، ويستخدمون ثمان واربعون حرفا في كتابتها ، وهي نفس الحروف التي يستخدمها اليابانيون .

٤- قدم اليابانيون المساعدات والاغاثات لسكان جزر ليوشيو في اوقات الازمات والمجاعات ، وارسلوا قوات للدفاع عنها عند تعرضها للخطر الخارجي .

٥- لم يكون سكان جزر ليوشيو هيئة حاكمة وانما كانت جزءاً من اقطاعية ساتسوما [١٩] .

والواقع ان هذه الادعاءات تعد ضعيفة امام الامتداد الحضاري والثقافي الصيني في عموم الشرق الاقصى والذي نوهنا عنه سلفا .

الموقف من الادعاءات اليابانية ١٨٧٤ – ١٨٨١ :

في الوقت الذي سار فيه اليابانيون نحو بناء قوة دولتهم ومؤسساتها على وفق النمط الأوربي ، كانت الصين تسير نحو الضعف والانحلال . ولا سيما بعد اندحارها في حربي الافيون الاولى والثانية ، وما فرض عليها من سلسلة معاهدات غير متكافئة، أجبرتها على الخروج من عزلتها وفتح موانئها للتجارة الخارجية ، ولا سيما مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ومنحها التسهيلات والامتيازات التي أضعفتها وأنزلتها منزلة الدولة شبه المستعمرة ، وحطت من قدر حكومة المانشو (١٦٤٤- ١٩١١) [٢٠]، واضعفت هيبتها بنظر الشعب ، الذي زادت هذه الحروب من معاناته ، ودفعته للقيام بالعديد من حركات المعارضة التي استهدفت القضاءعلى حكومة المانشو[٢١] . وراح ضحيتها أكثر من عشرين مليون مواطن [٢٢] . وفي تلك الاثناء شهد البلاط الإمبراطوري تحولات مهمة ، فبعد وفاة الإمبراطور شيان فينغ(١٨٥١ –١٨٦١)، اصبحت السلطة الفعلية في البلاد بيد زوجته يهونالا (١٨٣٥ –١٩٠٨)[٢٣]، المعروفة برجعيتها وفسادها ووقوفها ضد كل محاولات الاصلاح ، وهي والدة الإمبراطور الجديد المعروف باسم تونغ شيا (١٨٦١ –

١٨٧٥) . إذ دبرت مؤامرة بالاشتراك مع الامير كونغ مسؤول التسونغ لي يامين مسؤول (دائرة الشؤون الخارجية)، واحد حراس القصر ، قضي فيها على مجلس الوصاية . وكان هذا المجلس قد تولى شؤون الحكم نيابة عن الإمبراطور تونغ شيا ، الذي لم يكن يبلغ السن القانوني للحكم. وتم تشكيل مجلس وصاية جديد من قبل مدبري المؤامرة ترأسته يهونالا ، التي منحت لقب تزو – هسي أي الأمومة السعيدة . ومنذ ذلك الحين اصبحت السلطة الفعلية في البلاد بيدها ، بل حتى بعد وفاة ولدها الإمبراطور عمدت الى تنصيب ابن اختها ، كونغ شي (١٨٧٥ – ١٩٠٨) إمبراطوراً ، ونصبت نفسها وصية عليه. والواقع انها أصبحت هي الإمبراطورة الفعلية للصين حتى وفاتها عام ١٩٠٨. وطوال مدة حكمها لم تحاول الافادة من تجربة اليابان في النهوض ، بل على العكس من ذلك وقفت ضد محاولة الاصلاح [٢٤] . اما اقرارها لسياسة التعزيز الذاتي (١٨٦٠ – ١٨٩٥) التي كان مغزاها صبغ البلاد بالصبغة الغربية ، من خلال استقدام الخبرات الأجنبية وإرسال البعثات العلمية الى الدول الغربية . فلا يمكن تفسيره الا بان هذه السياسة كان الهدف من وراءها القضاء على حركات المعارضة ، والمحافظة على النظام السياسي والاجتماعي القائم وتقوية الدفاعات الوطنية ، لوضع حد لتمادي الدول الغربية في مطالبتها بأمتيازات جديدة [٢٥] . وعلى الرغم من نجاحها في تحقيق هدفها الاول ، الا انها فشلت في تحقيق الثاني ، اذ شهدت تلك المدة ازدياد حجم التدخل الأجنبي في الصين سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، وضعفت سيطرة الحكومة على الأقاليم التابعة لها ، التي أخذت تفقد سيطرتها عليها الواحدة تلو الأخرى[٢٦] . والواقع انها كادت ان تواجه مصير الهند وغيرها من الدول الأسيوية والأفريقية وتتحول الى دولة مستعمرة ، بيد ان المنافسات الدولية حالت من دون ذلك ، حتى أخذت تتحول بصورة تدريجية الى دولة شبه مستعمرة تتقاسم الدول الكبرى النفوذ فيها ، فلكل منها منطقة نفوذها وسكك حديدها وموانئها الخاصة ، كما أخذت رؤوس الأموال تتدفق عليها بشكل متزايد ، حتى ارتبط اقتصادها بعجلة الاقتصاد الرأسمالي ، في وقت عجزت فيه حكومة المانشو عن الارتفاع بمستوى الاحداث ومواجهتها [٢٧] .

وبناءً على ذلك لم يكن من المتوقع ان تتخذ الحكومة الصينية موقفا قوياً للرد على الادعاءات والتوجهات اليابانية للتوسع على حساب أراضي الإمبراطورية الصينية، فرداً

على قيام اليابان في عام ١٨٧٤ باحتلال الساحل الشمالي لجزيرة فرموزه ، اكتفت بأرسال قوة عسكرية لهذه الجزيرة ولكن من دون ان تتورط في أي عمل عسكري [٢٨]. وتجلى ضعف موقفها بصورة اوضح في المفاوضات والمناقشات التي دارت بين الامير كونغ المسؤول عن الشؤون الخارجية الصينية واوكوبو توشيمتشي المفوض السامي الياباني ، والتي أسفرت عن توقيع اتفاقية كونغ – اوكوبو، وذلك في ٣١ تشرين الاول عام ١٨٧٤، والتي نصت على ان تدفع الحكومة الصينية تعويضاً عن حادثة سفينة اوكيناوا ، قدره ٥٠٠,٠٠٠تايل [٢٩] ، تدفع منها ١٠٠,٠٠٠ تايل لذوي الضحايا و٤٠٠,٠٠٠ تايل تسديداً للنفقات التي أنفقتها اليابان لإنشاء الطرق في جزيرة فرموزه ، والتي اصبح حق ملكيتها للحكومة الصينية ، بعد انسحاب القوات اليابانية منها ، وحددت الاتفاقية ٢٠ كانون الاول عام ١٨٧٤ حداً نهائيا لانسحاب القوات اليابانية منها ، وان تدفع الحكومة الصينية في الموعد عينه التعويض المتفق عليه [٣٠]. لقد أظهرت هذه الاتفاقية بما لا يقبل الشك عدم تمكن الصين من مجابهة المطالب اليابانية بجزر ليوشيو ، واعترافاً ضمنياً منها بسيادة اليابان على تلك الجزر من خلال التعهد بدفع تعويض لذوي الضحايا وهذا ما شجع اليابان على التوسع بمطالبها .

وحتى تدعم الحكومة اليابانية موقفها في جزر ليوشيو قامت بإرسال موظفين مدعومين بقوات عسكرية لتولي امر حكومتها ، ومنعهم من إرسال الجزية الى الصين، مهددتهم بفرض حصار على جزرهم في حال رفض مطالبها . وقد أثار هذا الامر حفيظة سكانها الذين رفضوا الانضمام لليابان ، وقاموا بأعمال شغب لزعزعة استقرار الادارة اليابانية فيها ، كما قاموا بخطف الموظفين اليابانيين واخذهم كرهائن يضغطون بهم على الحكومة اليابانية لإجابة مطالبهم [٣١].

وسعى سكان ليوشيو مراراً لطلب المساعدة من الحكومة الصينية لاعادة ليوشيو الى سابق عهدها شبه المستقل ، بيد ان الحكومة الصينية كانت اضعف من ان تمد يد العون اليهم . وقد تبنى عددا من المسؤولين الصينيين المدركين لنوايا اليابان التوسعية موقفاً مغايراً لموقف الحكومة الضعيف ، فدعوها للتمسك بالسيطرة على جزر ليوشيو، وان تحتج على ضمها لليابان لاسباب وحجج كانوا يرونها وجيهة ، ومنها :

١- ان اليابان – بحسب رأيهم – ليست قوية بما فيه الكفاية لشن حرب من اجل السيطرة على جزر ليوشيو ، فيما لو اعلنت الصين تمسكها بها . كما ان انصرافها لمعالجة مشاكلها الداخلية ومحاولة إعدادها جيش قوي يتطلب مدة لاتقل عن ثلاثة أعوام ، وهذا ما يمنح الصين فرصة اكبر لحل مسألة ليوشيو الى صالحها . والى جانب ذلك انهم أرتأوا ان اليابان تتمتع بقيادة حكيمة تعرف ان وضع البلاد لا يسمح لها بالدخول في أي حرب خارجية قد تستغل من قبل الإقطاعيين الراغبين بإستعادة سيطرتهم .

٢- مما يجب اخذه بالحسبان قرب ليوشيو ، التي اصبح الوضع فيها متزعزعاً من جزيرة فرموزة ، وان التنازل عنها يهدد أمن فرموزه ، التي تصبح تحت محط انظار وتهديد اليابان . ومن المحتمل ان تسعى الاخيرة ، بعد الاستيلاء على ليوشيو الى تجنيد سكانها للاستيلاء على فرموزه . لذا فإن مسألة أمن الاخيرة تحتم مناقشة قضية ليوشيو مع اليابان ، وان التخلي عنها سيخلف صعوبات كبيرة في المستقبل . ويزاد على ذلك ان معرفة اليابان ، بعدم قدرة الصين على خوض حرب ، يشجعها على التمادي في موقفها . لذا فإنهم وجدوا ان اتخاذ أي موقف هو افضل من السكوت [٣٢] . اظهرت هذه التحليلات للموقف دراية متبنيها بنوايا اليابان التوسعية . فما كان منهم إلا ان دعوا الحكومة للتمسك بسيادتها على ليوشيو لئلا يكون فقدانها خطوة أولى نحو مزيد من التوسع على حساب اقاليم الامبراطورية الصينية . والواقع ان الحكومة الصينية لم تأخذ هذه التحذيرات بعين الاعتبارولم تعط أهمية لمناقشة هذه القضية .

ويستدل على ذلك انها بادرت الى اجابت مطاليب الحكومة اليابانية ، التي أصدرت في مطلع عام ١٨٧٩ قراراً رسمياً قضى بمنع مملكة ليوشيو من ارسال بعثة الى الصين لأداء الجزية ، وان تقوم الصين بدفع الغرامة اليها(اي الى ليوشيو) ، وان يقوم احد نبلاء اسرة المانشو بانتقاد السياسة الخارجية لحكومته . ثم أعلنت اليابان على نحو رسمي خلع ملك ليوشيو ، وضم ليوشيو الى اليابان باسم ولاية اوكيناوا[٣٣] . وأعلنت الحكومة الصينية بدورها عن تنازلها عن هذه الجزر في عام ١٨٨١ ، على لسان مندوبها ليوكونغي الذي عبر عن ذلك بقوله " على الرغم من ان جزر ليوشيو تابعة لنا إسمياً ،

الا انها ليست مهمة بصورة جوهرية للدفاع عن الصين ، ولهذا فهي لا تستحق ان نبذل جهودنا للاحتفاظ بها " [٣٤].

وعلى الرغم من الموقف المتخاذل للحكومة الصينية ، واصل سكان ليوشيو تقديم عرائضهم للحكومة الصينية ، لمساعدتهم في مواجهة عملية الضم . ورفعوا مذكرة للحكومة اليابانية فندوا فيها مزامعها بان ليوشيو كانت جزءاً من اقطاعية ساتسوما ، وانها كانت تدفع الجزية لها ، وانهالم تكن واقعة تحت التأثير الحضاري الياباني . وأوضحوا بان مملكتهم طالما اعترفت بالسيادة الصينية عليها ودفعت الجزية لها طواعية ، واذا كانت مملكتهم قد دفعت الجزية لليابان في القرن السابع عشر ، فإنها عملت ذلك اضطراراً ولا سيما بعد قيام قوات هايديوشي بأسر ملكهم ، ومع ذلك فانها استمرت في الوقت نفسه ، بدفع الجزية للصين ، التي كانت تدين لها بكل جوانب حضارتهم فسكانها يتكلم اللغة الصينية على نحو عام ، وإن تكلم بعضهم اليابانية فذاك جاء نتيجة لاستمرار العلاقات التجارية لمملكتهم مع اليابان ، وإن استخدموا الالف باء اليابانية المتكونة من ثمان واربعين حرفاً ، فإنهم استخدموا الى جانبها الحروف الصينية ، واذا كان الامتداد الحضاري لدولة ما يعطيها الحق بمد سلطانها السياسي ، فالأولى بالصين أن تدعي امتداد سيادتها على اليابان[٣٥] . لقد أظهرت هذه الآراء تمسكا كبيرا من جانب مملكة ليوشيو بتبعيتها السياسية والحضارية لإمبراطورية الوسط. وقد يرد ذلك في بعض جوانبه الى عمق الوشائج و الصلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ربطتها بالصين ولقرون خلت . ومن جانب آخر يمكن ان يرد الى اختلاف النظرة في تبيعتها الى الصين عنها في تبعيتها الى اليابان ، فالأولى كانت ترى فيها دولة أرقى منها حضاريا ولاضير من العيش في ضلها الحضاري و السياسي . اما الاخرى –اليابان– فكانت دولة توسعية سعت الى التوسع على حساب جارتها الصين .

الخاتمة

حطت الهزائم المتكررة التي منيت بها الصين على أيدي الدول الغربية ، من قيمتها كإمبراطورية ، وأضعفت نفوذها وسيطرتها على الدول والاقاليم التابعة لها. وفي ضوء ذلك يبدو انها ادركت ان أرثها الحضاري لم يعد يفي بمتطلبات الحفاظ على تبعية دول وأقاليم المنطقة اليها ، وان معايير القوة هي التي اخذت تتحكم في تحديد ذلك. ومع

علمها بضعفها وعدم قدرتها على مجابهة اليابان فإنها لم تعط لقضية إثبات سيادتها على جزر ليوشيو عناية تستحق . ولا شك أن هذا شجع اليابان على المضي في مسعاها التوسعي في المنطقة . ولا سيما بعد أن تمكنت من تحقيق نهضة كبيرة في مجالات الحياة كافة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وأخذت تشعر بنمو قوتها وحاجتها لمزيد من الأراضي لترتشتف منها ما تحتاج اليه من مواد اولية واسواق . وانتهجت في سبيل تحقيق ذلك اساليب الدول الغربية ذاتها . فقدمت حججاً وذرائع عديدة لاثبات سيادتها على جزر ليوشيو مستفيدة في ذلك من امتداد نفوذ اقطاعية ساتسوما الى الاجزاء الشمالية من جزر ليوشيو منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ومن تردي وضع الصين الداخلي ، والتي لم يسعفها امتدادها الحضاري والفكري في المحافظة على سيادتها على تلك الجزر . فأظهرت تذبذباً واضحاً في الدفاع عنها ، على الرغم من دعوة عدد من المسؤولين الصينيين ، الذين ادركوا نوايا اليابان التوسعية ، لاتخاذ موقف صارم حتى ولو أدى ذلك الى قيام حرب بين الدولتين .

وبين إصرار اليابان في إثبات سيادتها على ليوشيو ، وتذبذب الحكومة الصينية في موقفها ، أظهر مواطنوا ليوشيو تمسكا كبيرا بتبعيتهم لإمبراطورية الوسط وخضوعهم لمؤثراتها الفكرية والحضارية . ولم تبهرهم نهضة اليابان الحديثة بل حاولوا الدفاع على قدر ما في وسعهم عن وضعهم شبه المستقل في ظل الإمبراطورية الصينية . بيد أن تأزم وضع الاخيرة الداخلي والخارجي وازدياد قوة اليابان حسمت الأمر لصالح اليابان فأعلنت ضم هذه الجزر اليها في عام ١٨٧٩ . الامر الذي شكل تحدياً مهماً لسيادة الامبراطوريةالصينية ومكانتها في الشرق الاقصى .

الهوامش

١) تقع جزر ليوشيو التي تعرف اليوم باسم (ريوكيو) ، التي تمتد لمسافة ٦٥٠ كم، جنوب غرب جزيرة كيوشو جنوبي اليابان . يمتهن سكانها الزراعة والتجارة، وتعد جزيرة اوكيناوا اكبر جزر هذه المجموعة وأهمها وهي تشتمل اليوم على اهم القواعد الامريكية في المحيط الهادي . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Encyclopedia America, Vol.24, International Edition, (Canada, 1978), P.62.

٢) فؤاد محمد شبل ، حكمة الصين ، دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ اقدم العصور ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ ، ص٥ .

٣) Tikhnivski, Histoire de la Chine les Temps Modernes Edition Du Progres ,Moscou ,1983,P.

٤) Jean Chesneaux and Others ,China From the Opium Wars to the 1911 Revolution ,New York ,1911,P.13.

٥) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين الحديث ١٥١٦ – ١٩١١ ، مكتب الكلمة الذهبية ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص٢٧ – ٢٨ .

٦) أسرة صينية صميمة حكمت الصين في المدة (١٣٦٨ – ١٦٤٤) ونهجت نهجاً قومياً ، وتمكن زعمائها من تحقيق توسع كبير في شرقي آسيا وإخضاع كوريا ومنغوليا والهند الصينية وليوشيو لسلطة الحكومة الإمبراطورية ، وازدهرت الثقافة الصينية في عهدها ازدهاراً كبيراً بفضل تطور الطباعة . للمزيد من التفاصيل ينظر :المصدر نفسه ، ص١٨ – ١٩ .

٧) Hsiang Teh –Hang ,A Refutation of Japanese Claims , In (ed) Dun J.Li, China in Transition 1517 –1911 , Litton Educational Publishing ,New York ,1969 ,P.199.

٨) منذ عام ١٦٣٧ طبقت اليابان سياسة عزلة عن العالم الخارجي كادت ان تكون شاملة ، اثر ازدياد التوجهات الاستعمارية الاوربية نحو المحيط الهادي . فأغلقت الوكالات التجارية الاوربية كافة ، باستثناء الهولندية . واستمرالوضع على ذلك النحو حتى عام ١٨٥٤ . إذ ارغمتها الولايات المتحدة الامريكية على الانفتاح بموجب معاهدة كاناجاوا التي وقعت بين الدولتين في آذار من ذلك العام ونصت على فتح مينائي شيمودا وهاكودای اليابانيتين للتجارة الاجنبية . واكدت على قيام تمثيل دبلوماسي بين الدولتين اذا رأت أي من الدولتين ضرورة لذلك . ونصت على منح الولايات المتحدة حق الدولة الاولى بالرعاية . وكل ذلك شجع بريطانيا وفرنسا وروسيا على التقدم للحصول على الامتيازات نفسها . للمزيد من التفاصيل تنظر الدراسة :

David Steeds, China Japan and 19 th Century Britain, Ireland, 1977, P.46-47.

٩) ولد الامبراطور موتسو هيتو عام ١٨٥٢ بعد وفاة والده كومي تينو . وامتاز هذا الامبراطور منذ صغره بكونه متفتحاً ونشيطاً وذكياً ، كما امتاز بقدرات تنظيمية وادارية فائقة ساعدته الى المضي بالحركة الاصلاحية . ادوين رايشاور ، اليابانيون ، ترجمة : ليلى الجبالي ، المجلس الوطني للثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٩٨٩ ، ص ٩٥ . وللمزيد عن الحركة الاصلاحية يراجع :

David H. James, The Rise and Fall of the Japans Empire ,Second Impression ,London ,1952,P.127.

كذلك ينظر للباحثة التجربة اليابانية في الانفتاح والاصلاح١٨٥٣-١٨٨٩، مجلة الدراسات التأريخية،العدد٧،٢٠٠١،ص٥٦-٨١.

١٠) شنت كل من بريطانيا وفرنسا هذه الحرب على الصين نظراً لايقافها تجارة الافيون ، ورفضها معاملة هذه الدول على قدم المساواة واسفرت هذه الحرب عن هزيمة الصين واجبارها على توقيع معاهدة نانكنغ في عام ١٨٤٢ ،والتي نصت على فتح خمسة موانئ للتجارة الخارجية وهي نانكنغ ، فوتشو ، شنغهاي ، كانتون ، آموي ، وقد وضعت هذه المعاهدة حجر الاساس لانفتاح الصين في علاقاتها الخارجية على العالم الخارجي بعد عزلة طويلة دامت لاكثر من قرنين. للمزيد من المعلومات ينظر :

P.C.Kuo , A Critical Study of the First Anglo- Chinese War with Documents ,University of Illinois , United States of America ,1973.

١١) ادركت بريطانيا ، التي شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، توسعاً كبيراً في انتاجها الصناعي ،و ازدادت حاجتها للمواد الاولية اللازمة لأدامة صناعتها ، والاسواق لتصريف بضائعها ، ان معاهدة نانكنغ لم تعد تفي بالغرض وانه لابد من النفوذ الى المناطق الداخلية من الصين ، فكان من نتيجة ذلك ان شنت حرباً على الصين ، واجبرتها على توقيع معاهدة تيانتسين عام ١٨٥٨ ، ومن ثم اتفاقيات بكين ١٨٦٠ التي وافقت الصين بموجبها على فتح عشرة موانئ جديدة للتجارة ، واعترفت بشرعية تجارتي الافيون والعمال ، والاقرار بحرية ممارسة المبشرين لاعمالهم . للمزيد عن ذلك ينظر:

Paul H. Clyde ,The Far East : A History of Western Impacts and Eastern Responses 1830 –1975 ,Prentice Hall States of America, Sixth Edition ,United 1975,P.74 ; Treaty of Peking ,Between The

United Kingdom and China Assigned at Peking October 24 ,1860 , In foreign Office ,Hand Book of Commercial Treaties ,E T C., With Foreign Powers ,Crown Copyright Reserved , Fourth Edition , London , 1931,PP.71-72.

١٢) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

١٣) China and Japan to 1911, Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.1 ,First edition ,Japan ,1983,P.286.

١٤) Told Rodzinski, A History of China ,Vol.1,Printed in William Clowes ,United King ,1979,P.326.

١٥) Hsiang Teh-Hung : A Refutation of Japanese Claims In Dun J. Li, Op.Cit,P.198.

١٦) دأب الصينيون في العصر الامبراطوري على التقويم وعلى وفق سني حكم أباطرتهم ، فلكل امبراطور تقويمه الخاص يبدأ في اليوم الاول من حكمه وينتهي بنهايته ، فيؤرخ الحدث بانه وقع في اليوم كذا من الشهر كذا من السنة كذا من حكم الامبراطور .والمقصود بتونغ شياهنا الامبراطور الصيني الذي حكم الصين في المدة ١٨٦١ – ١٨٧٥ . نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص٦ .

١٧) Hsiang Teh-Hung : A Refutation of Japanese Claims, In Dun J. Li, Op.Cit,P.P.194 -١٩٩.

١٨) ينتمي هايديو شي الى اصل اجتماعي شديد التواضع ، تمكن من ان يصبح قائداً عسكرياً وان يصل الى السلطة في اليابان عام ١٥٨٢ . وذلك بعد ان قضى على منافسيه جميعهم . ولم يتخذ لقب شوجن – الدكتاتور العسكري – وبقي في السلطة حتى وفاته عام ١٥٩٨ . وفي اثناء حكمه قام بمحاولات عديدة لغزو كوريا والصين . رايشاور ، المصدر السابق ، ص٩٤ – ٩٥ .

١٩) Hsiang Teh-Hung : A Refutation of Japanese Claims, In Dun J. Li, Op.Cit,P.P.194 -199.

٢٠) تنتمي أسرة المانشو لقبائل مغولية استوطنت منشوريا شمال الصين، استفادت من الانقسامات الداخلية في الصين في اواخر حكم اسرة المينج (١٨٣٨– ١٦٤٤) . وبالتعاون مع بعض المتمردين تمكنت من دخول الصين والقضاء على حكم أسرة المينج وإقامة حكم أسرة المانشو (٦٤٤ – ١٩١١) وهي آخر أسرة إمبراطورية حكمت الصين ، تمكنت من إقرار حكمها في المناطق الشمالية ، اما المناطق الجنوبية فكانت موطناً للمعارضة التي طالما عدّت المانشو أسرة أجنبية . للمزيد ينظر :

Michael Dillon ,Dictionary of Chinese History ,Frank Cass and Company Limited ,Great Britain ,1979,P.31.

٢١) شهدت الصين في النصف الثاني للقرن التاسع عشر سلسلة من الحركات الثورية التي اقلقت مضاجع أسرة المانشو ، وأوصلتها الى حافة الهاوية، وكان من أهمها ثورات المسلمين في المناطق الشمالية الغربية من الصين، والتايبنغ في وسط وجنوب الصين اضافة الى ثورات النيان والمياو . للمزيد عن ذلك ينظر:

Wolfgang Franke, A Century of Chinese Revolution 1851-1949, Basil Blackwell, Oxford, 1970, P.P.19-54.

٢٢) Rodzinski, Op.Cit, P328.–329 .

٢٣) تنتسب يهونالا المولودة عام ١٨٣٥ ، الى قبيلة يهونالا المنشورية ومن أحدى الاسر النبيلة التي كانت تتمتع بحظوة كبيرة في البلاط . في عام ١٨٥٢ أصبحت حظية للامبراطور شيان فنغ (١٨٥٠ –١٨٦١) ، وتمكنت من التأثير عليه وانتزاع سلطة القرار منه . وبعد وفاته اصبحت وصية على ابنها ولي العهد تونغ شيا (١٨٦٢ –١٨٧٥) ، واصبحت السلطة الفعلية بيدها ، وبقيت كذلك حتى بعد بلوغ الامبراطور سن الرشد عام ١٨٧٢ ، ووفاته في عام ١٨٧٥ . إذ نصبت ابن اختها البالغ من العمر اربع سنوات امبراطوراً باسم كوانغ شوي (١٨٧٥ – ١٩٠٨) وأصبحت هي وصية عليه . ينظر : نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص٨٨ .

٢٤) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص٧٨ –٨٨ ؛

Tikhnivski ,Op.Cit,P.

٢٥) Feng Kui-fen, On the Manufacture, In (ed) Ssu Yu Teng and Others , China Response to the West A Documentary Survey 1839-1923, Fifth Printing, Harvard University, 1979, P.53.

٢٦) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١٢٦ .

٢٧) Ho Ju – Chang : The Annexation of Liu – Ch’iu by Japan ,In Dun J.Li ,Op.Cit ,P.P.94-95.

٢٨) The Okubo –Kung Understanding 1874 , In Dun J.Li ,Op.Cit , P.193.

٢٩) التايل او كما يسميه الصينيون (ليانغ) وحدة وزن صينية قديمة (اوقية) تبلغ زنتها ٣١ غرام ، وكل ثلاث تايلات تعادل جنيه استرليني ، وهي تمثل عملة رسمية في البلاد تستخدم في تسوية المعاملات الكبيرة للمزيد عن ذلك ينظر : نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

٣٠) Ho Ju – Chang : The Annexation of Liu – Ch’iu by Japan ,In Dun J.Li ,Op.Cit ,P.P.195-196.

(٣١ Ibid,P.196.
(٣٢ Tikhvinski,OP.Cit,P.289.
(٣٣ Ho Ju – Chang : The Annexation of Liu – Ch'iu by Japan ,In Dun J.Li ,Op.Cit ,P.196.
(٣٤ Tikhvinski,OP.Cit,P.P.289-290.
Ho Ju- Chang : The Annexation of Liu- Chiu by Japan ,In Dun.J.Li, P.196.